الموصل في كتابات مارك سايكس العدائية (١٨٩٩-١٩١٣)
(مختارات مترجمة)

م. عامر بلو إسماعيل*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٨/٩/٢٦

تاريخ قبول النشر ٢٠١٨/١١/١٨

ملخص البحث:

العقيد السير تاتو بينفيوتو مارك سايكس هو البارون السادس (١٦ آذار ١٨٧٩-١٦شباط ١٩١٩) كان رحالة انجليزي، زار العديد من الدول حول العالم في قارات مختلفة، وقد ركز اهتمامه على الشرق الأوسط بشكل عام والعراق بشكل خاص خلال المدة (١٨٩٩-١٩١٣) ونشر تفاصيل رحلاته في ثلاثة كتب كما مبين في المقدمة. وكدبلوماسي ارتبط اسمه باتفاقية سايكس- بيكو (Sykes–Picot) سيئة الصيت (وقعت في لندن في ٥ كانون الثاني ١٩١٦) التي كتبت أثناء اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) لغرض تقسيم الدولة العثمانية على بريطانيا وفرنسا وروسيا وايطاليا. وما يهمنا من سيرة مارك سايكس هو رحلاته للشرق وكتب رحلاته المتعلقة بالموصل وضواحيها والمدن والقرى المتصلة بها.

Mosul through Mark Sykes's itineraries

Lect.Amer Bello Ismail

Abstract:

Colonel Sir Tatton Benvenuto Mark Sykes, 6th Baronet (16 March 1879 – 16 February 1919) was an English traveler, visited many countries around the world on variety of continents, and focused his attention on the Middle East in general and Iraq in particular during the period 1899-1913, and published details of his travels in three books. As a Diplomat, his name is associated with the notorious Sykes–Picot Agreement (Signed at London on 5 January 1916), drawn up while the war was in progress, regarding the partitioning of the Ottoman Empire by Britain, France ,Russia and Italy .What of considerable important in Sykes' lifetime are his journeys to the East and his itineraries regarding Mosul and its towns and villages.

* مدرس، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

من هو مارك سايكس :(**١٨٧٩-١٩١٩**):

ولد مارك سايكس (Mark Sykes) سنة ١٨٧٩ في لندن وكان الابن الوحيد للسير والبارون تاتون سايكس (Tatton Sykes 1826-1913)، والسيدة جيسيكة كرستينة (Jessica Christina)، وبعد شهر من ولادته جُلِب إلى سليدمر (Sledmere) في منطقة يورك (York). ومنذ طفولته كان سايكس يتطلع للشرق لمعرفة أسراره وخفاياه وبخاصة إلى أراضي الكتاب المقدس في فلسطين والعراق (الواقعة تحت سيطرة الدولة العثمانية آنذاك)، وسّهل تحقيق تلك التطلعات والده، الذي كان ثرياً جداً ومحباً للسفر والرحلات، فأرسله في رحلات طويلة بصحبة قريبه لورد وولدن دي هاوارد(Walden de Howard) الذي كان من أبرز مرافقيه[١]. كما كان سايكس محباً للأدب واللغات، ويبدو أن تلك المحبة ناجمة عن شغف أمه بالأدب، إذ كانت والدته تقرأ بأربع لغات، وواسعة الاطلاع على الأدب الفرنسي، فإهتم بالأدب الانكليزي واللغتين العربية والفرنسية، وكان يقرأ لكتاب بارزين لاسيما تشارلس دكنز[٢](Charles Dickens) و جوناثان سويفت[٣] (Jonathan Swift) ووليام شكسبير(William Shakespeare). وكان له ميول مسيحية واضحة فقد توجه في السادسة عشر من عمره إلى موناكو (Monaco) في فرنسا لعدة شهور، درس خلالها في مدرسة اليسوعيين الايطاليين[٤](the Italian Jesuits the)، و درس في بروكسل في بلجيكا، ثم توجه إلى كامبردج ودرس في الكلية اليسوعية (Jesus College) لمدة سنتين[٥].

في خريف سنة ١٩٠٣ تزوج سايكس من الآنسة ايدث كورست (Edith Gorst)، ومنذ ذلك الحين كانت زوجته ورفيقه دربه، ما أمكن، وعندما يصعب عليها السفر لاسباب صحية مثلاً كانت تشجعه وتحثه على مواصلة الرحلات، فاصطحبها معه إلى اسطنبول سنة ١٩٠٥ عند تعيينه ملحقاً فخرياً للسير نيكولاس اوكونور (Nicholas O'Conor)، وبعدها سفيراً، كما خدم فيما بعد فترة قصيرة في المكتب الايرلندي كسكرتير خاص. ثم برزت لديه فكرة الترشح لعضوية البرلمان البريطاني فرشح سنة ١٩١٠ عن مقاطعة بوكروس (Buckrose) إلا أن المقاطعة رفضته، ثم رشح للمرة الثانية سنة ١٩١١ وانتخب عضواً لمدة ثلاثة سنوات ركز خلالها على مهامه البرلمانية، (وبرزت ميوله الدينية المعادية للإسلام والعالم الإسلامي منذ تلك الفترة)، إذ ركز سايكس في خطابه الأول في البرلمان في تشرين الثاني ١٩١١على شؤون الإسلام في جميع أنحاء العالم، وحصل على اثر ذلك الخطاب على مكانة كبيرة في البرلمان، وكانت قاعة البرلمان تمتلئ عندما يريد سايكس أن يخطب. وفي الجانب العسكري كان سايكس عقيدا في الجيش البريطاني وأوكل إليه تدريب ميليشيا للمشاركة في القتال في جنوب أفريقيا، فتجمعت كتيبته الغير نظامية الإقليمية (the

Green Howards) في الرابع من آب ١٩١٤ وكان تدريبه للجنود قاسٍ ومجهد جداً، ولما ذهبت كتيبته للقتال كانت خسائرها قليلة جداً أذا ما قورنت بخسائر الوحدات العسكرية الأخرى[٦].

وتمهيداً لعقد اتفاقية سايكس بيكو المشئومة، أرسل لورد كتشنر[٧] (Horatio Herbert Kitchener) في صيف ١٩١٥السير سايكس في مهمة للجيش النظامي ومنح منصباً في الأركان العامة، كما أرسلهُ للشرق في مهمة تحري خاصة وواسعة، وبعد عودته إلى لندن وتقديم تقريره إلى لورد كتشنر، أمر سايكس بأن يضع مع جورج بيكو[٨] (François Georges Picot) ترتيباً للتعامل مع سوريا وبلاد ما بين النهرين والأناضول[٩]، (لتقاسم الأقاليم العثمانية السابقة) بحسب توقع نتائج الحرب العالمية الأولى، تلك الحرب التي كان الحلفاء فيها واثقين من النصر، وقد تفاوض على المعاهدة كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وايطاليا وروسيا القيصرية، والطرفين البارزين الذين صاغا الاتفاقية هما مارك سايكس، (الدبلوماسي البريطاني الذي قضى بعض الوقت في الدولة العثمانية) وجورج بيكو، (الذي خدم كقنصل فرنسي في بيروت). المعاهدة الأصلية كانت ببساطة بين بريطانيا العظمى وفرنسا ووقعت في ٣ كانون الثاني ١٩١٦، إذ منحت فرنسا السيطرة المباشرة على لبنان وساحل سوريا فضلا عن قسم كبير من ما يعرف اليوم بجنوبي بتركيا، ونالت فرنسا منطقة نفوذ معترف بها على أي دولة أو مجموعة دول ممكن أن تظهر في الداخل السوري بعد الحرب. أما بريطانيا فقد حصلت على السيطرة المباشرة على العراق والموانئ الفلسطينية حيفا وعكا(Acre). والمتبقي من فلسطين تقرر أن يوضع تحت إدارة دولية، وسرعان ما تنبهت روسيا للمعاهدة وطالبت بحصة من المنطقة، فوافقت بريطانيا وفرنسا على إدخالها في الاتفاق السري، وفي أيار ١٩١٦ عدلت الاتفاقية لمنح روسيا مناطق شاسعة في أرمينيا العثمانية وكردستان. وبعد التحاق ايطاليا بدول الحلفاء في ١٩١٥، طالبت ايطاليا أيضا بحصة من الغنائم، ولإرضاء مطالبها، وافقت الدول الثلاث على احتلال ايطاليا للساحل التركي المطل على البحر الأبيض المتوسط والاحتفاظ بجزر دوداكنيز (Dodecanese) في بحر ايجة، التي أخذتها ايطاليا من الدولة العثمانية عام ١٩١٢ إلا أنها لم تمنح لايطاليا بشكل رسمي ودولي[١٠].

وبعد الثورة الروسية في ١٩١٧، سرب البلاشفة بنود المعاهدة السرية مما تسبب بغضب في البلاد العربية في الدولة العثمانية، التي دعمت بريطانيا في الحرب في مقابل وعود بريطانية للعرب وفق مراسلات حسين مكماهون[١١] بدعم منح العرب مملكة مستقلة، وهذا ما يتعارض مع بنود اتفاقية سايكس بيكو، وقد أحرجت بريطانيا بالتوقيت الغير مناسب لنشر بنود المعاهدة من جانب روسيا، وقد نفى الضباط البريطانيين على الأرض لحلفائهم العرب السابقين وجود مثل هذه

المعاهدة، ولكن مفاوضات مؤتمر باريس ١٩١٩ سارت على الخطوط العريضة لمعاهدة سايكس بيكو، ومعاهدة سان ريمو في ١٩٢٠ منحت الانتداب الفرنسي على لبنان وسوريا والانتداب البريطاني على فلسطين والعراق، والحدود التي رسمت لهذه الانتدابات مماثلة تماما لتلك التي رسمت على الخارطة للمنطقة وفق معاهدة سايكس – بيكو[١٢]، وبموجب اتفاقية سايكس بيكو أصبحت الموصل ضمن نطاق النفوذ الفرنسي، بينما أغلب مناطق بغداد والبصرة أصبحت ضمن نطاق النفوذ العربي، ليتم إدارته من جانب شريف مكة[١٣]. وكان منح الموصل إلى فرنسا من بنات أفكار مارك سايكس، لأنه كان يرغب في إقامة منطقة فرنسية عازلة في الشرق الأوسط بين الأقاليم الروسية والبريطانية[١٤]، بينما أخذت بريطانيا كركوك والمنطقة إلى الجنوب الغربي منها[١٥].

وخلال حياة سايكس قام بالكثير من الرحلات شملت قارات وبلدان عدة، لان والده كان يؤمن أن رئتي إبنه ينبغي أن لا تتعرض لفصول الشتاء الانكليزية، واصطحبه معه في رحلات عبر قارات أوربا وآسيا وأفريقيا وأمريكا في ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر[١٦]. وخلال المدة ١٨٩٩-١٩١٣ كان تركيز سايكس على الشرق الأوسط وقد نشر تفاصيل تلك الرحلات في ثلاثة كتب وهي:

أولا: كتاب "*من خلال خمسة مقاطعات تركية*"(Through Five Turkish Provinces) وطبعه في لندن سنة ١٩٠٠، ويتكون من (١٤٩) صفحة، وكان سبب الرحلة الذي قدمه مارك هو البحث العلمي، لأنه في عام ١٨٩٨ تَعَرف على منطقة حوران (Hauran) وبدأت أبحاثه بأن أخذ إجازة ربيعية من السلطات في كليته أي الكلية اليسوعية (Jesus College) في جامعة كامبردج في سنة ١٨٩٩، وغادر انكلترا لغرض قضاء ثلاثة أو أربعة أشهر في الصحراء السورية، ولكنه ما أن وصل للمنطقة وجد نفسه غير قادر على الحصول على الرخصة اللازمة للدخول للمنطقة لأسباب لم يفصح عنها، وللاستفادة من الإجازة قرر الذهاب إلى بلاد يعتبرها جديدة بالنسبة إليه، فزار حلب وبغداد والموصل ووان ورجع إلى بلاده عن طريق جبل أرارات (Ararat) وايرفان (Erivan) وباطوم (Batoum)، وتأخر نشر الرحلة إلى سنة ١٩٠٠ لان الرحالة منذ بداية كانون الأول الماضي كان مع كتيبة ميليشيا في الدرشوت (Aldershot) ثم في جنوب أفريقيا[١٧].

ثانيا:كتاب: "دار الإسلام: سجل رحلة إلى عشرة مقاطعات أسيوية تركية" (Dar-Ul-Islam :A Record of a Journey Through Ten of the Asiatic Provinces of Turkey) وقد قدم للكتاب البروفيسور إي. جي. براون (E. G. Browne)، وطبع في لندن سنة ١٩٠٤ وعدد صفحاته (٢٩٤) صفحة، وقام بالرحلة سنة ١٩٠٢ وهي رحلة إلى الدولة العثمانية حصراً وبدأها

من بيروت وشملت مدن سوريا كل من (تدمر وحمص وحماه وحلب وطوروس والجزيرة وغيرها) وفي العراق إلى (مدن عقرة والموصل وكركوك والسليمانية وشرق كردستان) ثم إلى الشرناق في تركيا حاليا. ويبدو أن الرحلة نالت عدم الرضى والانتقاد الشديد من بلده وهذا ما وضحه الرحالة في بداية رحلته إذ يقول:" إنني لم أقدم اعتذار على هذا الكتاب، وإذا كنت مُدان باعتذار، وجريمتي فادحة جداً لدرجة إنني استحق عدم الغفران لأني أضفت غالوناً آخر إلى ذلك المحيط المميت والكئيب والمحزن والممل من الأدب، الذي يشتمل على كتب رحلات رديئة. وإذا كان الكتاب رديئاً ومملاً، فحينها دعه يرقد، فهو سيغرق ببطء في غضون سنوات، بضغط من الوزن الساحق من إخوته اليافعين، إلى النسيان"[١٨].

ثالثاً: كتاب" آخر ميراث للخلفاء: مختصر تاريخ الإمبراطورية التركية" (The Caliphs' Last Heritage : A Short History of the Turkish Empire) وفي هذا الكتاب قدم سايكس معلومات لعدة رحلات قام بها في الأعوام ١٩٠٦ و ١٩٠٧ و ١٩١٠ و١٩١٣على التوالي برفقة يعقوب العرب النصراني اللاتيني من القدس، والأخير (خادمه الانكليزي)، وجوزيف فنج (Joseph Finch) وديمتري اليوناني (طباخ للرحلة) وخمس سوريين أصحاب بغال، وقد بدأ رحلته من حلب سنة ١٩٠٦ واستمر بالرحلات إلى سنة ١٩١٣[١٩].

وبعد خمس سنوات من آخر رحلة قام بها سايكس وافاه الأجل بسبب إصابته بالأنفلونزا الاسبانية في باريس وكانت وفاته متزامنة مع مشاركته في مؤتمر باريس في ١٦ شباط١٩١٩[٢٠].

قام الرحالة الانكليزي مارك سايكس بعدد من الرحلات كما ذكرنا في النبذة المقتضبة التي قدمناها عن حياته والتي شملت عدة بلدان وقارات، وفي بحثنا هذا سوف نركز على رحلاته التي وصل فيها إلى مدينة الموصل وتوابعها الإدارية كتلعفر وسنجار والشيخان وما إلى ذلك. وعلى الرغم من ورود معلومات تاريخية لا بأس بها في هذه الرحلات، فإن الرحالة إتبع أسلوب أدبي في وصف الموصل وتوابعها، وسكانها، وصفاً إتسم بالسلبية إلى حد كبير وفي أحيان كثيرة، فجاءت مذكراته مليئة بالشتم والسب للموصل ولتوابعها ولسكانها وعاداتهم وتقاليدهم، وهذا ناجم طبعا عن مواقفه المسبقة من المسلمين والدين الإسلامي وكل ما هو شرقي، لتربيته الدينية النصرانية وحقده الأعمى الذي كلله باتفاقية سايكس بيكو سيئة الصيت والتي قسمت الشرق الأوسط العربي والإسلامي بين الدول الاستعمارية آنذاك من أجل تفتيت هذه المنطقة وإضعافها ونهب ثرواتها ونقل أثارها إلى متاحف أوربا، والدليل على كراهيته وتحامله على أهل الموصل بّينه الرحالة البريطاني هاري تشارلس لوك[٢١] (Harry Charles Luck) في كتابه (Mosul and its Minorities) أي

(الموصل وأقلياتها) إذ يقول :"كان مارك سايكس يمقت الموصل" وفي موضع آخر من كتابه يقول:"ويبدو واضحاً وجلياً أن مارك سايكس كان يعُد سكان الموصل المسلمين بعين متحيزة على نحو غير ملائم"[٢٢].

مدينة الموصل:

مدينة الموصل هي اليوم مركز محافظة نينوى وثاني اكبر مدينة في العراق، وتقع شمال غرب العراق، هناك الكثير من المميزات التي جعلت مدينة الموصل مقصداً للكثير من الرحالة الأجانب، منها احتوائها على الكثير من الكنوز الأثرية والدينية أو كونها نقطة مفصلية ضمن خط رحلة لأنها تربط مناطق مختلفة، ما جعلها وجهة ومقصداً للرحالة والدبلوماسي البريطاني مارك سايكس، فشد الرحال إليها غير مرة ابتداء من سنة ١٨٩٩ والى سنة ١٩١٣ وقد وصف خط الرحلة بالتفصيل، وأول الأمور التي لفتت انتباه سايكس عند اقترابه من المدينة الموصل هو الجسر[٢٣] الذي أدهشة من حيث البنية والتركيب ومهارة البناء فكتب عنه قائلا:"[الجسر الحجري] فهو نموذج رائع للمهارة"، كما وجد سايكس خلل أو عيب في الجسر ألا وهو أن الجسر ناقص لأنه لا يربط ضفتي النهر بقوله: "[الجسر] لا يعبر النهر، فالمهندس بدأ ببناء حوالي مئة وسبعون ياردة منه من جهة الضفة، وذلك ببنائه أربع وعشرين دعامة جسر، وعند الدعامة الأخيرة يأتي الماء" ثم وضح كيف تغلب المهندس على مشكلة عدم ربطه الضفتين بقوله:" ثم بعد دراسة مستفيضة فكر المهندس بان يبني جسر من القوارب [أي مكمل للجسر الحجري الناقص] التي ربطها مع بعضها [بسلاسل حديدية]، ومن ثم ربط القوارب بالجسر الحجري"[٢٤].

إلاّ أنّ سايكس شاهد عند الجسر وجود بعض الشحاذين والمجذومين وبائعي الحلوى وعدّها مثلبة إذ يقول:" فانه [الجسر] أصبح ملتقى ممتاز للشحاذين والمجذومين وبائعي الحلوى المتجولين" وهو بهذا، على ما يبدو، قد عمم حالات فردية من الشحاذين والمجذومين وبائعي الحلوى قد شاهدها قرب الجسر[٢٥].

وعندما دخل مارك إلى المدينة اتخذ منزلا فيها، لم يفصح عن مكانه بالتحديد، وبقى فيها خمسة أيام وغادرها يوم ١٦ آذار ١٨٩٩إلى زاخو وخلال مدة إقامته بالموصل لاحظ مارك أن فيها اضطرابات كثيرة وعدم استقرار، وأعطى أمثلة على هذا الاضطراب مثل وفات واليها الأخير [أي ابو بكر حازم باشا سنة ١٨٩٩][٢٦] قبل ستة شهور من وصول سايكس ولم يتم تعيين خلف له، كما أشار سايكس إلى أن مقر والي الموصل وسلطاته بعيدة عن مقر الحكومة التركية في اسطنبول، كما أن سلطة الوالي هي الأضعف من أي جزء آخر من تركيا، وقد استغرب سايكس من ذلك ولم يجد تفسيراً لذلك بقوله: "ويبدو انه أمر لا يصدق، ولكن الأمر هكذا"[٢٧] ويضيف أن

الموصل لما عاد إليها للمرة الثانية وجدها بيد مصطفى باشا (١٩٠٥-١٩٠٨)، اخو عزت، سكرتير السلطان العثماني، ولم يتميز مصطفى باشا سوى انه ملأ ولاية الموصل بأقربائه، وابتز الأموال على نطاق واسع، ويسيء إدارة كل شأن يعهد به إليه، وكان هذا هدفاً للسخرية والكراهية[٢٨]. ويعزو سايكس الاضطراب إلى عدم وجود مسؤول لديه سلطة لإطلاق النار على السُراق، إذ علم إن ضابطي شرطة زُجا في السجن لأنهما أطلقا النار على السراق دفاعا عن النفس، كما ذكر أن عمليات السرقة كانت ترتكب في وضح النهار على بعد (٥٠٠) ياردة[٢٩] عن أسوار مدينة الموصل، وبعد الساعة السادسة مساءاً تكون المدينة في حالة اضطراب، ولا أحد يغامر بالخروج من بيته بعد غياب الشمس[٣٠]، وفي رحلاته الأخيرة خلال المدة ١٩٠٦-١٩١٣ تكلم سايكس عن موضوع امن المدينة وعن السراق بقوله:" مدينة الموصل مدينة شريرة، ففي الليل يتجول السراق دون خوفٍ أو وجل من بيت إلى آخر دون أن يتعرض لهم احد، ووقت الراحة والظلام مرعباً [بالنسبة للسكان] بسبب فرقعة المسدسات والصياح الفوضوي للمتشاجرين"[٣١]. وان وصف سايكس للموصل بالشريرة استناداً إلى وجود بعض السراق أمر مبالغ فيه وفيه تحامل واضح ضد الموصل وسكانها.

كما لم يشاهد علامات تدل على اتصال الموصل بأوربا من الناحية الحضارية، إذ يرى سايكس أن الموصل اقل اتصالاً بالتأثير الأوربي من أي مدينة قد زارها في حياته[٣٢]، وهذا يدل بالطبع على مدى الإهمال الذي كانت تعاني منه المدينة بالقياس مع التطور والحداثة التي شهدتها أوربا في تلك المدة، والى جهل الرحالة بعلاقات الموصل لاسيما التجارية منها بأغلب دور أوربا آنذاك والمناطق المجاورة لها.

وعن أسواق الموصل ذكر سايكس فقط أنها كانت ممتعة، ولم تكن تضاهي أسواق بغداد، ثم تطرق لموضوع التمثيل الدبلوماسي الأجنبي في الموصل، وأشار إلى أن فرنسا كان لها قنصلية في الموصل[٣٣]، ومسؤول يمثل نفوذ روسيا المقدسة[٣٤](Holy Russian) (روسيا القيصرية). واندهش سايكس من موقف حكومته التي اعتقدت أن الموصل من الأفضل أن تمثل بوكيل قنصلي، على الرغم من الأهمية الكبيرة لها كما يزعم سايكس، وذكر أن رجلاً نبيلاً يدعى نمرود رسام[٣٥] يشغل منصب وكيل قنصلي لبريطانيا في الموصل، وهو مسيحي من أبناء الموصل لا يجيد اللغة الانجليزية ولا يتكلم بها، بل ملم قليلا بالفرنسية، وهو الوحيد الحامي لعدد من رعايا بريطانيا من الهنود في الموصل. وسمع سايكس مندهشاً شائعات في الموصل تروج لفكرة أن عم نمرود رسام أرسله الانكليز ليحافظ على أطلال نينوى![٣٦].

وفي رحلاته التي قام بها بعد ثلاث سنوات وتحديداً سنة ١٩٠٢ وقبل دخول مدينة الموصل علق سايكس على سكان مدينة الموصل بأسلوب ينقصه التهذيب والموضوعية وفيه كثير من التعميم قائلاً:" والسكان في الحقيقة متفاخرين، وشديدي التعصب، ومغرورين، أي أفراد القبيلة العربية بالمدينة حالهم حال سكان دمشق وحمص وحماة. وهم طليقي اللسان وماكرين وسريعي الهياج والانفعال وجبناء، وهم يقدمون لي [أي سايكس] أتعس صور يمكن للمرء أن يراها في الشرق". ثم يضيف قائلا:" وهم كُسالى ولا أمل في تحسنهم، وشريرين طالما ابدأنهم الضعيفة تسمح بذلك، وهم مستعدون للشغب والذبح من أجل التطرف [الديني] طالما لا خطر [أي عليهم] في ذلك". ثم يستطرد:" [فالموصلي] متغطرس بل خسيس، ومستعد للصراخ على أي أجنبي بكلمة كافر ويهرب قبل أن يستدير رأسه، وهم بعقول التافهين (mudlarks) وبمظهر فلاسفة، فهم يحزنون ويقرفون المراقب". ثم يقوم سايكس بإجراء مقارنة بين سكان الموصل في عصره وأجدادهم على سبيل التهكم والاستهزاء بالقول:" ماذا حدث هنا حقا! هذه الكائنات المزرية هم أحفاد العرب، الذين في ظل خلفائهم حكموا إمبراطورية، بالرغم من أن تاريخها لم يدون بعد، هي واحدة من الإمبراطوريات الأكثر مجداً في العالم، وأدبهم كان الأنبل، وعلمهم كان الأكثر تقدماً، وفلاسفتهم كانوا الأرقى في عصرهم، مع هذا فاني اعتقد أن هذا السقوط ليس بسبب انحطاط عرق بالٍ ، بل بتأثير البيئة والقذارة والتباهي المتغطرس الذي هو الآن غير معقول"[٣٧].

كما أشار سايكس إلى موقف سكان الموصل المتمدنين نسبيا في وقته وبين سكان القرى والأتراك قائلا: "[فسكان الموصل] مرضى منذ سنوات من سوء المعيشة، وازدراء القرويين، كما هو الحال مع الازدراء الكوكني (احد أبناء أفقر أحياء لندن) المقرف الواهن للفلاح القوي البنية، فهو [ابن الموصل] قادر على الاستشهاد بالشعر في المحادثة، ويكره الأتراك- المتفوقين عليهم بشكل لا يمكن قياسه- ككراهية البرابرة[٣٨]. ويبدو أن تركيز سايكس على كراهية أهل الموصل للأتراك هو بمثابة التمهيد لأخذ الموصل من الأتراك مستقبلا وهذا ما حدث بالفعل.

كما أشار سايكس إلى التعليم وفاعليته في تغيير بنية المجتمع الموصلي، وانه السبيل الوحيد للتغيير المرتقب بقوله:" وعندما يأتي التعليم الحديث، سوف ينقذهم [أهل الموصل] من أن يصبحوا ذوي طابع أوربي بأسلوب الشرقي بائس"[٣٩]. ويبدو أن سايكس لم يكن ملماً بعدد المدارس الحديثة في الموصل آنذاك والتي بدأت تظهر في بنهاية القرن التاسع واستمرت في التوسع والازدياد فيما بعد[٤٠].

ومن الغريب أن سايكس عثر في الموصل على عدد من مجلة بريطانية أسبوعية للشؤون المعاصرة، تدعى (سبيكتيتر Spectator) (أي المتفرج)، وهذا يثبت وجود اتصال ثقافي بسيط للغاية بين الموصل وبريطانيا، وعن ذلك العدد كتب سايكس قائلا:" من دواعي سروري أنني التقطت مجلة السبيكتيتر في الموصل، وقرأتها من الغلاف إلى الغلاف بما في ذلك الإعلانات[٤١].

وبعد ثماني سنوات من رحلته الأولى للموصل سنة ١٨٩٩ قام سايكس بزيارة الموصل سنة ١٩٠٢ ثم لحقها بزيارات للسنوات ١٩٠٦ و ١٩٠٧ و ١٩٠٨ و ١٩١٠ و ١٩٠١٣ وخلال الزيارات الأخيرة (١٩٠٦-١٩١٣) أشار سايكس إلى عدم حدوث تطور وتحسن ملحوظ في أوضاع الموصل العامة عما شاهده سابقاً بل العكس صحيح وأخذ بوصف أهل الموصل بأشنع الأوصاف وأقبحها بقوله:" في الموصل وجدت نفس عش الفساد والرذيلة والفوضى والمرض كما كنت اعرفها دائماً، في ثماني سنوات لم تحقق تقدماً ملموسا ولا تحسن، إذ كانت ذات يوم مدينة عظيمة أكثر مما هي عليه الآن"[٤٢]. وهنا أيضاً يلجأ سايكس إلى التعميمات الخاطئة، والمغالطات التي يريد بها النيل من سمعة مدينة الموصل وسكانها.

ومن ناحية العمران فيرى سايكس عدم وجود سبب للأسى والحزن على الناحية العمرانية في الموصل، وانه، وبحسب زعمه، ليس من الصعب فهم عدم وجود فن ولا صناعة ازدهرت في الموصل في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بقوله:" البيوت الجديدة متداعية وهي غير صحية وكريهة الرائحة كالسابقة، والبيوت القديمة قبيحة ومملة وبغيضة كالجديدة، والسماء المشرقة لم تعطي ساحريه لهذه المدينة المبنية من الطين والملاط (الجص)، فأزقتها العمياء ضيقة وتنبعث منها رائحة كريهة، وغير جميلة كمثل مقاطعة وايتجابل (Whitechapel) شرق لندن، وجوامعها تفتقر إلى القيمة المعمارية كمحطات القطارات"[٤٣]، ويبدو أن سايكس يتجاهل أن الموصل كانت لها تجارة رائجة لما ينتجه سكانها من قماش الموسلين والبسط والسجاد والأواني المصنوعة من النحاس أو البراص وما تصدره للعالم من صوف وقطن وحرير وعفص وسجاد وبُسط وغيرها[٤٤]، كما تناسى جمال مساجدها وجوامعها ودقة نقوشها المعمارية، وأضاف أن ضواحي الموصل القذرة أصبحت اصغر من السابق[٤٥]، والمدينة الحالية مكتظة جدا وبناء المساكن رخيص جداً[٤٦].

وعن سبب قبول السكان لمستوى معيشتهم يرى سايكس أن الناس في الموصل ربما بسبب العُزلة كانوا راضين عن مستوى التحسن في الموصل بقوله:" إن الناس يتحدثون عن أن الزراعة في تزايد مستمر، وانه على الرغم من الغارات وموجات الجراد والافتقار لوسائط النقل، فإن الأمور أفضل قليلا من بضع سنوات مضت، واخبرني تاجر بارز أن هناك صافي زيادة (١٥٠) قرية في الولاية[٤٧]. وهذا النص يبين أن رأي سايكس حول عزلة السكان وتدهور مستواهم المعيشي

والاقتصادي يتعارض مع آراء السكان وواقع حال الموصل المتمثل في سعة علاقاتها التجارية إقليميا ودولياً.

وعن نظافة المدينة تكلم سايكس بتفصيل ممل ويبدو انه ركز على المناطق التي يكثر فيها القصابين بقوله:" وشوارعها مملوءة إلى الكاحل بأحشاء الحيوانات وفضلاتها، وقنوات تصريف المياه على جوانب الشوارع تجري وفيها يجري ببطء دم متجمد وأصباغ كريهة الرائحة في مياه ملونة، كريهة النظر إليها وكريهة الرائحة، ورائحة اللحم المعفن المعلق في الهواء[معروض للبيع]، وأكداس من الروث، وقرون الذبائح، وحوافرها مرمية في أزقة قذرة، بينما هنا وهناك جثث منتفخة للبهائم والمريضة يلقيها القصابين جانباً، فتكون أذى باتجاه شروق الشمس"، وربما يكون الرحال مصيباً في معظم هذه الأوصاف لان القصابين والى يومنا هذا يتبعون تلك السلوكيات والممارسات لضعف الرقابة الصحية. كما تحدث سايكس عن منطقة معينة في مدينة الموصل سماها منطقة ولم يَقُلْ المدينة، ووصف السكن فيها وصفاً مفصلا بقوله:" والبيوت ملطخة بكتل القذارة.... ويبدو انه أمر لا يصدق، فهنالك عائلات تسكن هذه المنطقة المقرفة، فالرجال والنساء والأطفال يسكنون هذه الأوكار الوسخة ليس بسبب الفقر أو الافتقار إلى سكن أفضل، بل بسبب البطالة المطلقة واللامبالاة، والحكومة [السلطات الحاكمة في الموصل] سعت مرتين لإلغاء هذا الوكر [المنطقة المقرفة] التافه للقذارة والأوبئة، ولكن في كل مرة تثير المحاولة أعمال شغب كما تحدث عن رجال عراة يمشون في شوارع المدينة ولا نعلم من يقصد بهم بقوله:" بينما الرجال العراة ينتقلون بسرعة ذهابا وإيابا عند أعمالهم المُضرة"[٤٨]. وربما يقصد بهم (الدلاكلين) الذين يعملون في الحمامات الشعبية الذين يسترون نصف أجسامهم بالقماش (الفوطة) كما يسميها أهل الموصل، وربما لخروج (مدلك) ما أو أكثر في الشارع لقضاء حاجة ما لفت انتباه واهتمام سايكس.

وخلال أقامه سايكس في الموصل سمع شائعات كثيرة ومختلفة ومتضاربة وتدل على أهل الموصل على اتصال بغيرهم ويعلمون ما يدور حولهم بعكس قوله السابق، ومن تلك الشائعات أن بريطانيا شنت حرب ضد دولة ما، وان ملك بريطانيا كان في اسطنبول سواء كان ضيفا لدى السلطان أو سجيناً امرأ غير واضحٍ، وإمبراطور ألمانيا قد أصبح مسلماً، وشيخ الكويت قد قتل رجل انجليزي، وابن رشيد كان في تحالف مع الفرس، وعن استيلاء الأتراك على (Sautchbulak)، وعن ثورة كل القبائل الكردية ضد الأتراك، وعن كون الانجليز متخلفين في كل شيء، ودعاية بأن القوات التركية تتجمع لإبادة الأرمن، وعن وفات السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-

١٩٠٩)، أو عن كونه في حالة الاحتضار، بل وحتى عن تنازل السلطان عن العرش لصالح ابنه، وأخيرا وليس آخراً سقوط صنعاء بيد الانكليز واستيلاء الانكليز على اليمن![٤٩].

كما تحدث سايكس باهتمام كبير بمشروع سكة حديد بغداد[٥٠] وكان يميل إلى اقترح مسار جديد لخط السكة يمتد من ولاية ماردين إلى (Shedade)[٥١] ومن هناك إلى ولاية الموصل، وان تمر السكة عبر الجانب الشرقي من سنجار وبذلك تنتفع مناطق زراعة الذرة ليزيدية سنجار من خدماتها، وبرر سايكس هذا التغيير في مسار السكة بنقطتين: الأولى:- تكلفة بناء السكة عبر هذا الخط الجديد اقل بكثير من غيره من الخطوط، لأنها ستمر بأرض مستوية، وثانيا:- يمنح الخط المقترح للسكة فرصة استقرار للأكراد في منطقة قره داغ (Karaja Dagh) التي يمر عبرها[٥٢]. إلا أن سايكس لم يكن يدعم فكرة مرور سكة الحديد بمدينة الموصل ويقول:" ولا يمكنني أن أتوقف عن التفكير في أن مخططي ومصممي خط سكة الحديد الجديدة سوف يقومون بعمل عظيم إذا حاولوا تجنيب السكة المرور بالمدينة، لان مضايقات بؤرة المرض والرعب [يقصد مدينة الموصل] المستمرة سوف لن تخف بل ستزداد بالثراء"، ورأي سايكس في غير صائب لان مرور السكة بالمدينة سيحسن المستوى الاقتصادي للسكان، كما أن وصفة للموصل بالمرض والرعب لم يذكر مثله في كل كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا الموصل في زمانه، وهذا يبينه هو في نص آخر عندما يشيد ويثني على حماسة سكان الموصل لبناء السكة بقوله:"ولكن من الجيد ملاحظة أن المسلمين والنصارى على حد سواء متحمسين لكي يتم بناء السكة"، ولتجنيب خط السكة من المرور بالموصل اقترح سايكس أن تبني الشركة المُنفذة للمشروع محطة للسكة الحديدية على بعد عشرة أميال عن موقع المدينة القديم آنذاك، وبذلك يوضع الأساس لمدينة جديدة أنظف من السابقة، كما يرى انه بعد بناء مدينة الموصل الجديدة والمقترحة ينبغي الاهتمام بالأنظمة الصحية والآداب العامة، وأن يكون فيها حي سكني مكون من(٣٠٠) بيت بجانب النهر، وهذا الحي فيه مسلخ ومدبغة ومصبغة. ويبدو أن فكرة سايكس هو بناء نواة مدينة جديدة تتوسع بمرور الزمن، على الرغم من أن تطبيقها فيه صعوبات عملية وتطبيقية لم ينكرها سايكس بنفسه[٥٣].

كما تشائم مارك من تأثير الموصل على المناطق المجاورة لها، وفي رأيه الموصل تمثل تهديداً للمناطق المحيطة بها، كما يرى أن الموصل كما شاهدها بأم عينيه إذا أصبحت المدينة الرئيسة لشمالي بلاد ما بين النهرين المزدهر، فإنها بالتأكيد سوف تلوث المنطقة المجاورة لها بنفس نفوذها الشرير (كما يزعم)، كما حدث مع أنطاكيا القديمة التي انتشر أذاها إلى شمال سوريا. وفي رحلاته الأخيرة للمدة (١٩٠٦-١٩١٣) وصف الموصل وصفاً بائساً جداً بقوله:" أرى عدم وجود

مبرر للأسى على أن ضواحيها القذرة أصبحت أصغر من السابق، وعند غياب الشمس والنظر للغرب من قرية النبي يونس استطيع أن أنسى الكثير من شرها، فالشمس كانت جالسة في نار عميقة اللهب ومميتة[٥٤]، ونهر دجلة الغامض والصامت يجري بين ضفاف تمتاز بأشجارها السوداء المقطوعة، وخلفها تقع المدينة، ظلٌ عجيب ازرق وارجواني (بنفسجي)، والقباب [قباب الجوامع والمساجد] مقوسة فوق السطوح المستوية، والضواحي الخربة قد ضاعت في الظلام المتنامي، والمنارات بدت ممنوحة زخرفة وطول لا يصدق في منتصف النهار، وهرج الأسواق العالي قد ضاع في الدمدمة الحائرة، ومرة أخرى الجسر الخشبي، يقعقع بصوت الحوافر الأجوف[٥٥]. وهنا يستعمل سايكس تعابير غامضة غير مفهومة لولعه بالأدب والأسلوب الأدبي في السرد مثل (الدمدمة الحائرة) أو (صوت الحوافر الأجوف) وغير ذلك.

ونتيجة طبيعية لكراهية سايكس ومقته لمدينة الموصل ولسكانها أن اخذ يمقت اللغة العربية أيضا، وبالرغم من مقته وكرهه للغة العربية إلا انه استخدمها في غير محلها ووظفها للسب والشتم مثلما حدث برحلته الثانية ١٩٠٢ عندما ذهب إلى الفرات واحتاج من عامل يعمل على عبارة أن يُعبِرُه نهر الفرات، ولما رفض العامل قام سايكس بشتمه وشتم والدته وكل جداته إلى أن وصل إلى حواء بلغة عربية مختارة وبطلاقة، وقد سمع بعض أصدقائه بتلك القصة وسأله عن عدد الكلمات العربية التي يحفظها فأجابه انه يحفظ مائة وخمسين كلمة. وبهذه الكلمات القليلة سايكس شق طريقه إلى الشرق[٥٦].

سنجار:

تقع سنجار غرب مدينة الموصل وتبعد عنها (٨٠) كيلو، وهي من المدن التاريخية القديمة تقع في الجهة الشمالية الغربية من مدينة الموصل[٥٧]، وقد زارها سايكس ضمن خط سير رحلته إلى الموصل في تاريخ لم يبينهُ، وبقى فيها يوم واحداً، وقد وصل إليها من الجزيرة السورية عبر عين صفية[٥٨] واتسمت رحلته إليها بنوع من المغامرة والمخاطرة وخصوصا في جبل سنجار، حيث وقع في تمرد هناك نجا منه بصعوبة، وكتب عن السكان وعن التمرد قائلاً:" الناس هم عبدة الشيطان، وقيل أنهم ينوون قتل أي تركي يسير بمفرده في منطقة تقدر بمائة ميل، فقلت لهم إنني مسيحيٌّ، فجوابهم كان (كذا)، ولكنهم سرقوا منا مجيدي [عملة تركية]، وبينما كانوا يتشاجرون على المجيدي هربنا وذهبنا إلى سنجار"[٥٩]. ووصف سايكس يزيدية جبل سنجار باوصاف متناقضة بقوله :" إنني افهم دائما أن اليزيدية الذين يسكنون الجبل، هم أكثر خبثا، ويئنون في ضل قمع وحشي، وهم شجعان، ومهذبين، ومثابرين ولديهم حب متأصل للحرية" فكيف يمتازون بالخبث والتهذيب في الوقت ذاته !، ولم يفصح لنا من الذي كان يقمعهم، ثم يستطرد في وصف الرجال

بوصفه القاسي المعتاد بقوله:" إذ كان الرجال برابرة ذوي منظر موحش، مع نظرة متدنية للقسوة الحيوانية في عيونهم، وهذا يعطي المرء فترة توقف للتفكير هل من الحكمة زيارة هذا العش لتفقيس الشيطان" وبهذا النص حول سايكس اليزيدية إلى برابرة ذوي منظر موحش ويعانون من التدني وان منطقتهم هي عش لتفقيس الشياطين حسب زعمه(٦٠).

وفي طريقه إلى مدينة سنجار، إذ فوجئ سايكس وجماعته برؤية أربع رجال يرتدون ملابس بيضاء ومسلحين ببنادق، برزوا كما يرى سايكس من داخل الأرض واخذوا يلوحون بسلاحهم بأسلوب تهديدي، إلا أن رجلاً مسناً فوق تل بعيد صاح عليهم ببضع كلمات، فاختفى الرجال الأربعة بسرعة كما ظهروا، وتكررت هذه الحالة مرة أخرى(٦١). وهذا يدل على أن هذه المناطق كانت غير مستقرة أمنياً وبحاجة إلى سلطة قوية لحفظ الأمن والنظام.

وعند اقتراب سايكس وجماعته من مدينة سنجار في زمن لم يُفصح عنه، فرحوا عندما لمحَ سواق البغال منظر العلم التركي، الذي كان يرفرف فوق تل تقع فوقه مدينة سنجار، ويذكر سايكس أنهم بدأوا يغنون للمرة الأولى منذ هروبهم من التمرد لفرحتهم بوصولهم للسلطات التركية التي توفر لهم الحماية، وعندما وصلوا إلى السراي (مقر القائممقام) علموا أن قائممقام سنجار قد غادر لاسترجاع بعض الأغنام المسروقة التي سلبت في الوقت الذي دخل فيه سايكس وجماعته إلى سنجار، وعنهُ ذكر سايكس انه رجل عربي أصيل من عائلة طيبة وثرية من مدينة الموصل وذو مكانة اجتماعية نادرة بين المسؤولين الأتراك، وكان يمارس عمله الحكومي على الأغلب لغرض التسلية وليس لغرض المعيشة، وقد عُين لسنوات كثيرة بهذا المنصب، في مناطق تقريباً مضطربة، والسكان يمدحونه جهاراً، ولسبب وجيه وهو أنه لم يأكل أموالهم ولم يحفظ السلام ويعاقب الأشرار(٦٢). ويبدو من الوصف الذي أورده سايكس أن القائممقام على الرغم من طيبته فقد كان مقصر في واجباته ومتسامح مع الخارجين عن الآداب العامة.

ذكر سايكس أنهُ قد بّين له حماقة سياسة اسطنبول بقوله:" في اسطنبول الناس لا تعلم ماذا يعني زيبار العمادية، أو سنجار، وهم إما يرسلون مكتبلي (mektebli) (أي ضابط مدرب) شاب ليس بيده الحل والربط، أو يرسلون رجلاً عجوزاً على حافة القبر"، وعن حكم سكان المنطقة مثل الأكراد واليزيدية يرى سايكس أنهم يريدون حكماً بحذرٍ وعناية بقوله:" أي مسك قطعة حلوى بيد، وعصى سميكة باليد الأخرى، وبذلك تسير الأمور ويُحكمون، أي بمعنى أدق سياسة العصا والجزرة، تلك السياسة التي لا يفهمها سكان اسطنبول، لأنهم يفهمون سياسة العصا فقط ولا يفهمون سياسة الحلوى، وأحيانا يضربون بقوة شديدة بالعصا إلى أن تنكسر". وعن عمران مدينة سنجار،

ذكر سايكس أن مدينة سنجار ممتعة من حقيقة أنها من أكثر المدن باتجاه الغرب (غرب الموصل) التي استفادت من فن العمارة الموصلية. وعن العادات السكانية يقول سايكس انه يلاحظ في سنجار الكثير من عادات وتقاليد العراق، كما استغرب من وجود ممارسة غريبة وهي استحمام النساء بشكل علني أمام المارة تلك الممارسة التي لاحظها في زاخو وراوندوز، بينما يرى سايكس أن هذه الممارسة فضيحة في الموصل، وقد نمت هذه الظاهرة وأصبحت مضرب مثل[٦٣]. ويبدو أن سايكس قد شاهد حالة أو بضع حالات استحمام أمام المارة فتوقع واهماً أنها عرف اجتماعي سائد، كما أن الموصل مدينة سكانها محافظين على الأعراف والتقاليد المتماشية مع الدين الإسلامي، واستحالة وجود مثل هذه الظاهرة فيها.

مدينة تلعفر:

تقع قرية تلعفر (قضاء تلعفر حالياً) غرب مدينة الموصل وتبعد عنها حوالي (٧٠) كيلو متر، وكانت في العهد العثماني ترتبط أداريا بقضاء سنجار، وانفصلت عن القضاء في سنة ١٩١٧[٦٤]، وجاء سايكس إليها، بتاريخ لم يفصح عنه، ضمن خط سير رحلة من الجزيرة السورية إلى عين صفية وسنجار إلى أن وصل إليها، ووصفها بأنها قرية صغيرة يسكنها على الأغلب أناس يتكلمون اللغة التركية، وبحسب رواية السكان أنفسهم، هم عبيد قد هربوا، أو هاربين نازحين من مناطق أخرى قد استقروا في أطلال مدينة قديمة بعد أن غادرها المغول في عهد تيمورلنك[٦٥]، والملامح التركية فيهم مثل بروز عظام الوجنتين، والعينين الضيقتين، ولا يزال يلاحظ، ولو على نحو نادر،الوجه العريض المسطح، واغلب الناس في تلعفر لا يمكن تمييزهم من الفلاحين العرب المحليين، واخبره رجال كبار في السن أنهم كانوا سابقا يسكنون مستقلين كنوع من الكميونات الإدارية[٦٦] تحت قيادة رجل منتخب لم يفصح عن هويته، الذي اخذ بيدهم ضد عرب شمر، وهم لا يدفعون لعرب شمر الضرائب لقوتهم بتلك الفترة على ما يبدو، حتى لو اخضع عرب شمر الموصل لنفوذهم. ويرى سايكس أن سبب قوتهم العظيمة يكمن في كبر ومتانة بناء قلعتهم (قلعة تلعفر)، التي أطلالها (حينئذ) تغطي التل المشرف على القرية، وهذه القلعة كانت قادرة على إيواء جنود ثكنة عسكرية من أكثر من ألفي جندي، فضلا عن النساء والأطفال، ووفرت انسحاب أو تراجع آمن في أوقات التوترات، وتوفر نقطة تجمع آمنة للعديد من القرى التابعة لها، والقلعة وقت زيارة سايكس خربة ومهجورة في الجوار، ويرى سايكس انه في أيام رشيد باشا [ربما يقصد والي الموصل رشيد باشا الكورد ١٨٨٩]، المستوطنين الأتراك في تلعفر اظهروا بعض العناد إزاء الحكومة، ولذلك أنهت الحكومة التركية نظامهم المستقل في تلعفر بحملة عسكرية لم يصلنا معلومات عنها، تلك الحملة التي دمرت القلعة وأُسِست مقرا جديداً للحكومة محلها. ولكن الحكم الرسمي الجديد الذي

فرضه الوالي على تلعفر لم يثبت فاعلية كحكم السابقين، وسرعان ما دب الخراب في القرى الصغيرة البعيدة بعد ما دمرها العرب لأسباب مجهولة، وتلعفر نفسها تناقص حجمها من مدينة كبيرة إلى قرية خربة، ووباء الكوليرا المرعب سدد لها ضربة ساحقة قبل مدة قصيرة، وفي مدة زيارة سايكس لاحظ وجود القليل من البيوت المتراصة، وجدار حصين وضخم مدمر يحيط بخرائب يعيش المدير فيها، وهذا كل ما يشاهده الرحالة في تلعفر، كما وصف سايكس الطريق من تلعفر إلى الموصل بأنه :"طريق كئيب، وكل ما يصادف عينيك خرائب جديدة، وأراضٍ غير مستغلة، والتي يمكن أن تنتج محاصيل كثيرة"، وعن الفشل الحكومي في إدارة المنطقة يقول:" الحكومة دمرت النظام الإقطاعي القديم، ولم تضع شيئاً جديداً في محله. وبعد عودة سايكس لتلعفر للمرة الثانية بتاريخ لم يذكره، لاحظ أن الزى التركي كالزي اليزيدي باستثناء القصة المربعة عند العنق لفتحة الصدر[٦٧].

برطلة:

تقع برطلة شرق مدينة الموصل وتبعد عنها تقريباً (١٥) كيلو متر، وقد زارها سايكس في رحلته لسنة ١٨٩٩ ولكن لم يدون عنها شيء سوى إنها كانت قرية صغيرة، وفي كتابه الثاني الآخر(الإرث الأخير للخلفاء) ذكر أنها لم تشكل في رحلته غير منطقة لاستطلاع فرص الحرب والسلام بقوله :" ومن الموصل واصلنا الرحلة إلى برطلة بحثا عن أخبار السلام والحرب". وأصبحت أثناء رحلته الأخيرة التي لم يحدد تاريخها مدينة تقريباً. وقس القرية روى لسايكس حكاية حزينة عن أن الاضطهاد والاستبداد كانت من كوارث الساعة، وهذا الرأي مخالف تماماً لأراء اغلب الرحالة الأجانب الذين زاروا الموصل وتحدثوا عن التسامح الديني. ويرى سايكس أن القس على ما يبدو لم يستحسن طريقة قسم النقل المحلي بالقرية بمصادرة البغال، بعد تغريم القرية عشرون بغلاً لعدم مد السلطات العثمانية بجنود ويرى سايكس انه طالما أهل القرية لم يجهزوا رجال، فأن عبء التعبئة يقع بشكل قليل عليهم بالمقارنة مع المسلمين، ومن برطلة توجه سايكس إلى منطقة الكلك بعد ركوب لمدة خمس ساعات[٦٨].

الشيخان:

الشيخان (عين سفني) تبعد عن الموصل (٤٦) كيلو متر، وهي منطقة قديمة يرجع تاريخها إلى العهد الاشوري[٦٩]، وخلال رحلة سايكس مر بها بتاريخ لم يحددُ كالعادة، وبعد اطلاعه على شؤون سكانها وصفهم وصفاً طيباً جداً فيقول عنهم :"هم تقريباً يشابهون أكراد البابا (the BaBa kurds) أقوياء الجسم، ودقيقين في الرماية، ومثابرين في العمل، ومقاتلين شجعان، ورجال ذوي تصرفات خشنة، والقليل من الكلمات والكثير من التفكير السليم"، وعن نسائهم أطرى سايكس

عليهن كثيراً بقوله: "نسائهم لافتات للنظر لجمالهن، وما هو عجيب أكثر هو حقيقة أن المرء يشاهد أحيانا نساء في سن الأربعين أو الخمسين بصحة جيدة، منتصبات الجسم جيدا، فلا هن منحنيات الجسم من الكد والتعب ولا واهنات ومدمرات القوى بسبب الزواج المبكر"، ثم يسهب في مدح المرأة الكردية ويقول:" قد حررت نفسها، على الرغم من أنها تعيش بعيداً عن الرجال مثل حرية الركوب للخارج، وتتمتع بفراغها، ومحبوبة زوجها، كحال أي امرأة انجليزية. وهنا يدخل سايكس على الحجاب الإسلامي ويقول:" الانحراف والفسوق هو نادر بين القبائل غير المحجبة". ويدعم سايكس رأي سخف كل النظريات المتعلقة بإلغاء الحجاب في المدن[٧٠]. وسايكس بهذه الآراء يخالف العقل السليم والفطرة السليمة بتفضيل التعري والسفور على الحجاب الإسلامي والاحتشام.

وعن سكان الشيخان، الذين كانوا عبارة عن خليط من العرب والشبك واليزيدية، وعن العرب ذكر سايكس أن في الشيخان (٥٠٠) عائلة من البدو الأثرياء الذين يمتهنون رعي الأغنام في المنطقة المحصورة ما بين نهر دجلة والزابين الأعلى والأسفل، ولا يرى سايكس وجود علاقة تربطهم باليزيدية، ورأيه هذا غير معقول لأنه من غير الممكن سكن جماعتين في منطقة واحدة دون أن تكون بينهم علاقات سواء كانت سلبية أم ايجابية، أما الشبك فكانوا يشكلون (٥٠٠) عائلة مستقرة وقيل لهُ إنهم من الشيعة، كما أكد له البعض أنهم لديهم دين سري!، وآخرين يقولون أنهم بابيين[٧١] وآخرين يقولون أنهم يعترفون بنبي يدعى بابا. كما عرج سايكس على موضوع اليزيدية في الشيخان ووصفهم بأنهم الشيطان، وإنهم عائلات شبه بدوية، ويسكنون كعشيرة قرب مزار الشيخ عادي، المركز الديني لليزيدية، ومسكن الزعيم الديني للديانة، فضلاً عن مسكن الزعيم الدنيوي الذي اعتاد سابقا السكن هناك، إلا أن سايكس سمع من السكان أن الزعيم الدنيوي يتحفظ على مكان وجوده، ووجد عدم ارتباط يزيدية الشيخان دينياً بيزيدية سنجار[٧٢]. لكن الحقيقة هي أن يزيدية الشيخان ويزيدية سنجار يعتنقون نفس المعتقدات الدينية اليزيدية.

العمادية:

العمادية تقع في محافظة دهوك وشمال مدينة الموصل، وتبعد عن الأخيرة حوالي (١٦٢) كيلو متر، وقد زارها سايكس بتاريخ لم يحدده الرحالة، وذكر أنها تبعد حوالي ست ساعات عن منطقة الداوودية [قرية سورية تتبع محافظة حلب]، ووصفها بأنها تقع على نتوء صخري يبرز من جبال حكاري مما يخلق منظراً رائعاً، كما يرى سايكس من ناحية أن موقع العمادية إستراتيجي ويصلح أن يكون موقع مراقبة ودفاع، لان المرتفعات التي خلفه لا يمكن الوصول إليها، ومن ناحية أخرى يناقض نفسة ويشير إلى عدم أهميتها متذرعاً بعدم إمكانية تسلقها عملياً. أما الطريق إلى مدينة العمادية فيذكر انه منحدر وخطر تقريبا، ووصف المباني بشيء من التفصيل إذ يقول:"أن

بوابات المدينة تظهر منحوتة جيدة، على الرغم من أن الزلازل شوهتها، وهناك تمثال لرجل في الصخر الذي ربما يكون من الحثيين أو بعدهم، ولكنه مشوه إلى درجة أن الأكثر تعليما وجرأة في الآثار يمكنه أن يحدد تاريخه، والمدرسة في قاع الوادي التي بناها السلطان حسان أو حسن(Hassan) [ولا يوجد سلطان عثماني بهذا الاسم] مدمرة حالياً. ليس فيها شيء يلفت النظر فقط موقعها الجميل جداً، والمنارة في وسط المدينة لا تستحق التسلق لان المنظر من الأعلى ليس أفضل من الأسفل، والقلعة تقريبا ثكنة خربة بناها الأتراك في عهد السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١)، عندما فتحت المنطقة أول مرة". كما تحدث سايكس عن زيارته إلى قائممقام العمادية الذي كان مريضاً ويعاني من الشلل الزاحف، واستغرب سايكس من تنصيب الحكومة العثمانية لرجال مرضى وعاجزين في إدارة مقاطعات هي الأكثر اضطرابا واختلالا بالنظام، وأشار إلى انه شاهد ظاهرة تنصيب المعاقين في أماكن أخرى من الدولة العثمانية، ويقول :" ولذلك يجب علينا عدم لوم الأتراك لكونهم ليسو أفضل منا". ومن القائممقام ذهب سايكس إلى الأسقف الذي وجد انه على علاقة طيبة مع كل المسئولين المحليين من المسلمين كالقاضي والملالي وآمر الرديف وأغا لم يذكر اسمه وغيرهم، وكان الأسقف كما يقول رجلا لطيفا وذكيا وغير متحيز[٧٣]. ووصف سايكس الأسقف باللطيف والذكي دون غيره من الأشخاص الذين قابلهم يدل بدون شك إلى ميوله الدينية لهذا الشخص وعدائه لكل مخالفيه في الدين وبخاصة المسلمين.

الخاتمة

تُعد كتب الرحلات من المصادر المهمة جداً في دراسة تاريخ الموصل في العهد العثماني لاحتوائها على الكثير من الملاحظات والتعليقات والشروحات على أحداث وقعت في تلك الفترة وكان الرحالة شهود عيان عليها فضلاً عن كونهم عنصراً فاعلاً فيها، ومن تلك الكتب ما دونه الرحالة والدبلوماسي البريطاني مارك سايكس التي لم يتطرق إليها الباحثين لحد الآن على الرغم من وجود بعض محاولات لترجمة تلك الكتب.

ومن خلال دراستي في بحثي هذا يتبين أن الرحالة قد اتبع في كتابة كتبه عن خط سير رحلاته ومشاهداته الأسلوب الأدبي الصرف، بيد انه أكثر من ألفاظ السب والشتم والتشاؤم بما يتعلق بمستقبل الموصل، كما انتقد كل شيء يواجهه في المدينة وأطرافها.

الهوامش

(1) Shane Leslie, Mark Sykes: His Life and Letters, With an Introduction by the right hon. Winston Churchill, Cassell and Company, LTD,(London, New York, Toronto and Melbourne, 1923) pp. 1-2

(٢) تشارلس دكنز (Charles Dickens) (١٨١٢-١٨٧٠) ولد في لاندبورت التابعة لبورتسموث في ٧ شباط ١٨١٢ ثم انتقلت عائلته إلى منطقة جاتم (Chatham) سنة ١٨١٦ وغيرها من المناطق وأهمل الدراسة، ووالده سُجن بسبب دين عليه سنة ١٨٢٢ فاضطر دكنز للعمل حمال في مخزن للصبغ، وكاتب لدى كاتب عدل (١٨٢٤-١٨٢٦)، ثم درس بدون معلم الكتابة المختزلة، وعمل بعدها مراسل في الكثير من الصحف أبرزها مراسل برلماني لصحيفة "شمس الحقيقة" للمدة (١٨٣١-١٨٣٢)، ولمع نجمه بان ألف الكثير من الروايات أشهرها رواية (حكاية مدينتين) ١٨٥٩، وزار الكثير من الدول الأوربية وللمزيد من التفاصيل عن حياته ينظر:

R. Farquharson Sharp, A Dictionary of English Authors: Biographical and Biblographical, Kegan Paul, Trench Trubner & Co. LTD, (London,1904), Pp 79-80.

(٣) جوناثان سويفت (١٦٦٧-١٧٤٥) ولد العاصمة الايرلندية دبلن في ٣٠ تشرين الثاني ١٦٦٧ ثم هاجر إلى انكلترا وألف الكثير من الروايات منها (المُمتحن) و (رحلة جديدة إلى باريس) وتوفي في دبلن سنة ١٩ أيلول ١٧٤٥. للمزيد من التفاصيل ينظر:

R. Farquharson Sharp, A Dictionary of English Authors: Biographical and Bibliographical, Kegan Paul, Trench Trubner & Co. LTD, (London,1904), Pp 272-273.

(4) Ibid., pp. 13-14

(5) Ibid., p p. 17-20.

(6) Ibid., p p. 17-20.

(٧) اللورد كتشنر (Horatio Herbert Kitchener) : ولد في ٢٤حزيران ١٨٥٠ في (Ballylongford) في ايرلندا، وهو سياسي كبير وقائد ميداني أعلى للجيش البريطاني ووزير للدفاع ، درس في الأكاديمية، وأرسل للمسح الهندسي إلى فلسطين والأناضول وقبرص للمدة (١٨٧٤-١٨٨٢)، ثم عين في القاهرة القائد الثاني لكتيبة فرسان، وعمل بجد ضمن الجهود الفاشلة لإنقاذ القائد البريطاني في الخرطوم جارلس كوردون (Charles Gordon)، ثم خدم في زنجبار والسودان ومصر، وهو قائد حملة غزو السودان سنة ١٨٩٦، وأصبح حاكم للسودان(١٨٩٨-١٨٩٩)، ثم توجه لجنوب أفريقيا، وبعدها أصبح قائد للجيش البريطاني في الهند، وأرسل بمهمة إلى روسيا فمات في طريقه إلى هناك في ٥ حزيران ١٩١٦. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Spencer C. Tucker, World War I: The Definitive Encyclopedia and Document Collection, 2nd ed.,Volume1 :A-C,ABC-CLOO,LLC,(California,Oxford,2014), pp.881-882.

(٨) فرانسوا ماري دينيس جورج بيكو (٢١ كانون الاول١٨٧٠-٢٠ تموز ١٩٥١) كان سياسي ودبلوماسي فرنسي، وقع اتفاقية سايكس-بيكو عن الجانب الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى لاقتسام مناطق النفوذ

مع بريطانيا في منطقة الهلال الخصيب وراضي أخرى كانت تابعة للدولة العثمانية، وميما بعد كان مسؤولاً عن إلحاق مناطق المشرق العربي للنفوذ الفرنسي والتأسيس للانتداب الفرنسي على سوريا.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%86%D8%B3%D9%88%D8%A7_%D8%AC%D9%88%D8%B1%D8%AC_%D8%A8%D9%8A%D9%83%D9%88

(9) Leslie, op. cit., pp. 17-20.

(10) Gábor Ágoston , Encyclopedia of the Ottoman Empire, Georgetown University, Washington, D.C., (New York, 2009), p. 550.

(١١) وهي المراسلات التي تمت بين السير هنري مكماهون (Sir Henry McMahon) والشريف حسين بن علي الهاشمي، شريف مكة، خلال المدة ١٩١٥-١٩١٦، تعهدت بريطانيا بموجبها بتقديم الدعم المالي والسياسي للشريف حسين خلال الحرب إذا قام الأخير بإعلان ثورة عربية ضد الحكم العثماني، كما تعهد بالمساعدة في تشكيل حكومات عربية مستقلة في الجزيرة العربية ومعظم منطقة الهلال الخصيب. وقد استثنت بريطانيا بعض المناطق كمينائي مرسين والاسكندرونة (تعود لتركيا حاليا)، والبصرة، وأقسام من سوريا شرق مناطق دمشق وحمص وحما وحلب. للتفاصيل ينظر:

Goldschmidt Jr. and Lawrence Davidson, A Concise History of the Middle East, 8th ed., Westview Press,(Colorado, Oxford,2006), pp.211-212; Joel Beinin, Workers and Peasants in the Modern Middle East, Cambridge University Press, Cambridge,2001),p. 82

(12) Ágoston, op. cit., p 550.

(13) Reeva Spector Simon and Eleanor H. Tejirian, the Creation of Iraq, 1914–1921, Columbia University presses,(New York, 2004),p. 12.

(14) Leslie, Op. Cit., pp. 249-250.

(15)Simon, Op. Cit., p. 118.

(16)Geoffrey Nash, Travellers to the Middle East from Burckhardt to Thesiger: An Anthology, Anthem press, (London, New York, delhi,2011),p. 148

(17)Mark Sykes, Through Five Turkish Provinces, Bickers and son,(London,1900) p.1.

(18)Mark Sykes, Dar-Ul-Islam: A Record of a Journey Through Ten of the Asiatic Provinces of Turkey, With appendix by John Hugh Smith and introduction by professor E. G. Brone, Bickers & Son, (London,1904),p.1.

(19) Mark Sykes, The Caliphs' Last Heritage : A Short History of the Turkish Empire, Macmillan and CO., Limited,(London,1915),p.298.

(20) C. J. Edmonds , East and West of Zagros Travel, War and Politics in Persia and Iraq 1913–1921, Edited, and with an introduction by Yann Richard,Brill (Leiden, Boston, 2010), p. 363.

(٢١) وهو السير هاري تشارلس لوك، ولد في لندن في انكلترا سنة ١٨٨٤ ودرس في جامعة أكسفورد، وعين رسميا سكرتيرا خاص ومساعدا لحاكم سيراليون للسنوات ١٩٠٨ و١٩٠٩ على التوالي، وفي سنة ١٩١١ خدم بنفس الوظيفة في باربادوس ثم التحق بوزارة المستعمرات ونقل إلى قبرص، وأصبح سكرتير خاص للمندوب السامي وسكرتير مساعد للحكومة سنة ١٩١٢. وفي سنة ١٩٢٠ خدم لستة شهور كمندوب رئيس في جورجيا وأرمينيا وأذربيجان، وعين بعدها مساعد حاكم للقدس (١٩٢٠-١٩٢٤)، وتوفي في قبرص في ١١ ايار ١٩٦٩، وللمزيد من التفاصيل يُنظر:

Bodleian Library, University of Oxford, Collection Level Description:Papers of Sir Harry Charles Luck
http://www.bodley.ox.ac.uk/dept/scwmss/wmss/online/blcas/luke-hc.html
(22)Harry Charles Luck, Mosul and its Minorities, Martin Hopkinson & Company LTD, London,1925),pp. 16,25.

(٢٣) شيد الجسر في سنة ١٨٥٤ وكان عبارة عن مجموعة من القناطر تتصل مع بعضها ويمتد إلى منطقة مرتفعة في جانب نينوى لا تصل إليها مياه النهر عند فيضانه، وصل طول القناطر المنفذة تلك إلى حدود كيلومتر واحد تقريباً وبعرض ٨ أمتار وارتفاعه ١٠ أمتار، ومن الطرف الآخر فقد ربط به جسر خشبي عائم يصله بالجانب الأيمن حيث تقع المدينة.للمزيد من التفاصيل يُنظر:وسيم الشريف، " تاريخنا : جسر الموصل القديم"، مدونة وسيم الشريف على الرابط:

http://Tarekhuna.blogspot.com/2013/05/blog-post_1.html
(24)Sykes, Through Five Turkish Provinces…, p. 66.
(25)Ibid., pp. 66,68.
(26) Gökhan Çetinsaya ,The Ottoman Administration of Iraq, 1890-1908, Routleghe, (London, New York), p. 82.
(27)Sykes, Through Five Turkish Provinces…, pp. 67, 68,179.
(28)Sykes, The Caliphs' Last Heritage…, p. 437.

(٢٩) وحدة قياس الطول انجليزية تستعمل في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية تعادل ثلاثة أقدام أو

(٣٦) أنش، ووفق الاتفاقية الدولية لسنة ١٩٥٩ فان اليارد يعادل بالضبط (٠,٩١٤٤) من المتر.

https://en.m.wikipedia.org/wiki/Yard
(30) Sykes, Through Five Turkish Provinces…, p. 67.
(31) Sykes, The Caliphs' Last Heritage…, p. 338.
(32 Through Five Turkish Provinces…, p. 67.
(33) Ibid.
(34)Sykes, Dar-Ul-Islam…, p. 179;

مصطلح روسيا المقدسة ديني وفلسفي ظهر وتطور من القرن الثامن عشر وحتى القرن الواحد والعشرون، وتداوله الناس في شرق أوربا ووسط أوراسيا، ويعني مملكة السماء وقيصرية الرب في السماء وعلى الأرض. للتفاصيل ينظر:

"Holy Rus", Wikipedia on the url: https://en.wikipedia.org/wiki/Holy_Rus

(٣٥) نمرود رسام: وهو ابن أخت أو أخ هرمزد رسام، عين نائب قنصل بريطاني في الموصل وبدون راتب في ٢٤ت آب ١٨٩٣، إلا أن الدولة العثمانية رفضت الاعتراف به بتلك الوظيفة بسبب جنسيته العثمانية، وقدم طلب من جانب السفير البريطاني في اسطنبول للاعتراف به وكيل قنصلي بريطاني بلا راتب في الموصل وقد وافقت السلطات العثمانية على الاعتراف وخدم بهذه الوظيفة من ٢٤ آب١٨٩٣ حتى ٣ كانون الأول ١٩٠٧، عندما أسست نيابة قنصلية براتب بدل الوكالة القنصلية التي بدون راتب، وبعد ذلك استغني عن خدمات نمرود رسام . وفي ١٥حزيران ١٩٠٨ عين مترجم فخري أو بلا أجور لدى الوكالة القنصلية البريطانية بالموصل وبقى بهذا المنصب حتى إعلان الحرب البريطانية على الدولة العثمانية في ٥ تشرين الثاني ١٩١٤. ينظر:

E. A. Wallis Budge, By Nile and Tigris, vol.1, (London, 1920), pp. 454.

(36) Sykes, Through Five Turkish Provinces…, p. 67.;

من الطبيعي اندهاش سايكس لأنه يعلم جيداً أن الانكليز لم يكن هدفهم المحافظة على أثار نينوى بل سرقتها ونهبها والمتاجرة بها أو إرسالها إلى المتحف البريطاني في لندن.

(37)Sykes, Dar-Ul-Islam pp. 178-179.

(38) Ibid., p. 178.

(39) Ibid., p. 179.

(٤٠) حضي قطاع التعليم باهتمام مدحت باشا، لان المجتمع العراقي كان يعاني من انتشار الجهل والتخلف، لذلك جاء قراره بتأسيس المدارس الحديثة البداية الأولى لظهور نظام تعليمي حديث في العراق كله، ومن المدارس التي أنشأها المدارس الرشدية (المتوسطة) المدنية والعسكرية ومدارس الصنائع، كما تشكل في الموصل مجلس للمعارف هدفه إصلاح الوضع التعليمي ومتابعته وسد احتياجاته. ينظر:عامر سليمان وآخرون، محافظة نينوى بين الماضي والحاضر، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر،(الموصل،١٩٨٦)، ص ١٠٢.

(41)Sykes, Dar-Ul-Islam, p. 179.

(42)Sykes, The Caliphs' Last Heritage.., p. 337.

(43) Ibid., p. 338.

(٤٤) غسان وليد مصطفى الجوادي، أحوال الموصل الاقتصادية ١٨٣٤–١٩١٨م دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ص ص ٦٥–٨٠.

(45)Sykes, The Caliphs' Last Heritage.., p. 337.

(46)Ibid., p. 339.

(47)Ibid., p. 338.

(48)Ibid., p. 339.

(49) Ibid., p. 340 ;

أغلب ما جاء في هذه الشائعات يُعبر بوضوح عن لاضطراب الأمني الذي يشعر به السكان وتوقع حروب وشيكة باندلاع حرب في المنطقة وتكللت تلك الهواجس فيما بعد بنشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨).

(٥٠) بدأت فكرة إنشاء سكة حديد بغداد أو ما تعرف أيضا بخط سكة حديد بغداد-برلين في سنة ١٨٩٩ بتمويل وتكنولوجيا ألمانية، عندما مهد القيصر الألماني في اسطنبول الطريق لامتياز سكة حديد بغداد مما جعل بلاد ما بين النهرين ركيزة للعلاقات الألمانية البريطانية الذي مُنح في ١٩٠٣ وكان ضمن الامتياز حقوق تعدين في ٢٠ كيلومتر على جانبي خط السكة على الرغم من عدم وجود اكتشافات للنفط في الدولة العثمانية قبل سنة ١٩١٤، وتوقفت عملية البناء إلى أن استأنف البناء سنة ١٩١١ واكتمل بناء الخط بين اسطنبول ونصيبين في نهاية تموز١٩١٨، بينما الفجوة بين نصيبين والموصل وسامراء اكتملت سنة - ١٩٤٠١٩٣٩ وانطلق أول قطار من اسطنبول لبغداد سنة ١٩٤٠. وبذلك شكل العراق جزء مهم من خط السكة الذي يبدأ بشكل تقريبي للتوضيح من بلغراد - اسطنبول- الذي يمر بإزميت - والمدينة القديمة لكوتاهية - قونية - أضنة - حلب- الموصل - بغداد مع خط فرعي يذهب للانبار والبصرة. للمزيد من التفاصيل عن السكة ينظر:

"Berlin–Baghdad railway", Wikipedia.org on the url: https://en.wikipedia.org/wiki/Berlin%E2%80%93Baghdad_railway ;
Murat Özyüksel, The Berlin-Baghdad Railway and the Ottoman Empire: Industrialization, Imperial Germany and the Middle East, I. B Tauris &Co.Ltd, (London, New York, 2016).

(٥١) محتمل إنها منطقة الشدادي في محافظة الحسكة السورية.

(52)Sykes, The Caliphs' Last Heritage.., p 439.
(53)Ibid., pp. 338-339.
(54)Ibid., p p. 336-338.
(55)Ibid., p.437.
(56)Leslie, Op.Cit., pp.17-20,163.

(٥٧) عبد الجبار محمد جرجيس، دليل الموصل العام، مطابع الجمهور، (الموصل،١٩٧٥)، ص ١٤٠.

(٥٨) منطقة حدودية تتبع محافظة نينوى حاليا وتقع على الحدود العراقية السورية.

(59) Leslie, Op.Cit., p. 113.
(60) Sykes, The Caliphs' Last Heritage…, p. 334.
(61) Ibid.
(62)Ibid., pp. 335-336.
(63)Ibid.

(٦٤) جرجيس، المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٦٥) تيمورلنك : وهو تيمور بن طارغاي بارلاس (Timur bin Taraghay Barlas) ويعرف في الغرب بـ (Tamerlane) والتي معناها تيمور الأعرج، ولد في ترانسوكسيانا (Transoxiana) من أصل تركي مغولي حوالي سنة ١٣٦٠، واشتهر بأنه قائد عسكري، فنزل مرتبة خان منطقة (Chagatai) الى مرتبة خان صوري، وجعل عاصمته في سمرقند (حالياً اوزبكستان)، ولم يطالب لنفسه بلقب خان، وخلال حملاته التوسعية دُمّرت العديد من المراكز الحضارية، وقتل ما يقرب من (١٧) مليون نسمة، وبنا أهرامات من جماجم خصومه، وكانت اغلب حروبه ضد البلاد الإسلامية، فهزم الأتراك العثمانيون في أنقرة ١٤٠٢، وإمبراطوريته شملت سوريا والعراق وإيران وكازاخستان وأفغانستان وأذربيجان وجورجيا وتركمانستان وأوزبكستان وقرغيزستان وباكستان وشمال غرب الهند بل حتى وصلت الصين. توفي سنة ١٤٠٥. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Richard Bodley Scott, Eternal Empire : The Ottoman at War, Osprey Publishing Ltd, (Oxford,2008),p. 57.

(٦٦) الكميونات الإدارية (Administrative communes) وهي إدارة منطقة في بلد ما يسكنها جماعة يتشاركون فيها العرق واللغة أو الدين وما إلى ذلك، استعملها سايكس ولم نجد مصدر ما استعمل هذا المصطلح.

(67) Sykes, The Caliphs' Last Heritage…, p. 336-337,437.

(68) Ibid., p. 340.

(٦٩) جرجيس، المصدر السابق، ص ١٤٠.

(70)Sykes, The Caliphs' Last Heritage…, p. 342.

(٧١) البابيين من البابية والتي هي دعوة ظهرت على يد علي بن محمد رضا الشيرازي الملقب بـ (الباب)، والذي ادعى انه الباب إلى بهاء الله مرزا حسين علي، وانه الرسول الذي أتاه الوحي من قبل بهاء، وتعني الكلمة في المعتقدات الشيعية الوسيط بين الله أو الولي المقدس من نبي أو إمام وبين العبد، وقد ظهرت في إيران في القرن التاسع عشر الميلادي، وتصاعدت في دعواها إلى أن أعلنت نفسها ديانة جديدة مستقلة عن الأديان والمذاهب الأخرى السابقة لها وقام أصحابها بحركات مسلحة كبيرة في إيران وسفكوا دماء المئات من الناس إلى أن اعتقلته الحكومة وأعدمته وأبادت أتباعه. للمزيد من التفاصيل ينظر: عامر النجار، البهائية وجذورها البابية، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،(الهرم،١٩٩٦)، ص ص ٩-٤٩.

(72) Sykes, The Caliphs' Last Heritage…, pp.557-558, 562.

(73) Sykes, Dar-Ul-Islam..., p. 165-166.